أورخان غازي

فترة الحكم: ١٣٢٤-١٣٦٢

السلطان العثماني الثاني

الألقاب والأسماء الشعرية: غازي، اختيار الدين، سيف الدين، شجاع الدين

اسم الأب: عثمان غازي

اسم الأم: مَالْهُونْ خَاتُونْ

محل وتاريخ الميلاد: سُغُوتْ، عام ١٢٨١

العمر عند تولي الإمارة: ٤٥ عاما

سبب وتاريخ الوفاة: الكرب النفسي، عام ١٣٦٢

مكان الوفاة وموقع الضريح: بُورْصَا، بُني قبره في العاصمة الجديدة بُورْصَا

أبناؤه: سليمان، ومراد، وإبراهيم، وقاسم

بناته: فاطمة خَاتُونْ، وخديجة خَاتُون

لوحة بفن المنمنمات تصوّر أورخان غازي، بريشة الفنان ليفني في أعماله المعروفة باسم "كيبرْ مُصَوّر سلسله نامه" أي (صور متخيلة لشجرة العائلة العظمى).

تربى أورخان غازي وتدرب ليكون البك القادم؛ فقد أرسله أبوه عثمان غازي على رأس سلسلة من الحملات مع قادة متمرسين مثل "آكْجا كُوجَا" و"كونورْ آلب" و"كُوسَهْ مِيهَالْ" حتى يكون مستعدا لتولي منصبه الجديد. بعد ذلك سلم عثمان غازي ابنه أورخان الإمارة بعد معاناته من مرض النقرس الذي أفقده القدرة على المشي. وبعد أن مات الأب، اعتلى أورخان العرش دون منافس في المستقبل. والواقع أن أحدا لم يشكك في صحة توليه السلطة رغم أنه كان لديه إخوة آخرون.

وشكل فتح بُورْصَا العظيم في ١٣٢٤ بداية اعتلاء أورخان غازي العرش. وأصبحت بُورْصا -التي تقع على الجانب الآخر من بحر مرمرة قبالة القسطنطينية- المركزَ الجديد للإمارة العثمانية. وجرى تجديد المدينة مباشرة بعد الفتح من خلال العديد من مشروعات الإنشاءات في بورصا. وقد بنى أورخان غازي منشآت تجارية بالإضافة إلى أسواق مفتوحة ومغطاة في محاولة للارتقاء بمدينة بُورْصا لتكون مركزا للتجارة. ويصف الرحالة ابن بطوطة مدينة بورصا بُعيد رحلته إليها، بعد عشر سنوات من فتحها، بقوله إنها "مدينة كبيرة بها أسواق نشطة وشوارع واسعة".

لم تكن الإمارة العثمانية الحدودية سوى واحدة من عدة إمارات خلال مرحلة التكوين عندما أصبح عثمان غازي هو الحاكم أو "البك". غير أن الأحداث والنجاحات التاريخية التي بدأت خلال عهد أورخان غازي هيأت للإمارة العثمانية موقعاً يسمح لها بإيجاد منطقة مرشحة للفتح تجاه البلقان مما جعل جميعَ الإمارات الأخرى تنضوي تحت حكمها في السنوات الثلاثين اللاحقة.

بعد فتح بُورْصا، فتح العثمانيون الحصون الواقعة على الساحل الشمالي الغربي الأناضولي، بما فيها كُوجَا أَلي (Kocaeli) وكارْتَال (Kartal) وآيْدُوسْ (Aydos)، وصولا إلى مضايق القسطنطينية على الجانب الأناضولي. وفي عام ١٣٢٩ انتصر العثمانيون في معركة بالِيكَانُونْ التي بدأها الإمبراطور البيزنطي أندرونيكوس الثالث بالقرب من "دَارِيجَا" (Darıca) بهدف كسر الحصار حول "إِزْنِيقْ" واسترداد الأراضي التي خسرها على أيدي العثمانيين. وأظهر هذا الانتصار أيضا مدى قوة العثمانيين في ذلك الوقت. وفتحت "إِزْنِيقْ" عام ١٣٣١، وكَمْلِيكْ في ١٣٣٤، و"إِزْمِيتْ" في ١٣٣٧. ونتيجة لذلك لم تتبق "أية منطقة في الجوار تخضع للوردات البيزنطيين". وقد جاء النجاح العثماني المتجسد في شخصية أورخان غازي في شكل سلسلة من الأحداث المرتبطة ببعضها

البعض، فمنحه القدرة على الوصول للعديد من الأبواب التي ربما لم يكن يتوقعها أبدا. فقد قَدَّم النزاع الداخلي الذي كانت تعاني منه إمارة بني كَارَسِي (Karesioğulları) التركمانية على الجانب الشرقي من الدردنيل الفرصة لعثمان غازي لضم هذه الإمارة. وكان ضم إمارة الكَارَسِيين، وهي الإمارة الأناضولية الأولى التي تنضم إلى الحكم العثماني عام ١٣٤٥، انطلاقة للأنشطة البحرية حيث بدأ الغازون في الكارسيين يدعون إلى القيام بحملة على الجانب الآخر من مضيق الدردنيل.

واستجابة لطلب "يوهانّيس كانتاكوزينوس"، الذي أراد أن يصبح الإمبراطور البيزنطي بعد موت الإمبراطور أندرونيكوس باليولوغوس الثالث، أرسل أورخان غازي جيشا بقيادة ابنه سليمان باشا إلى "أدِرْنه" وساعد كانتاكوزينوس على تخفيف الضغط الصربي والبلغاري في عام ١٣٥٢. ومن خلال هذه العلاقة، عَبَر العثمانيون إلى أوروبا واستقروا في حصن جِيمْبَه في كَلِيبُولُو/كَلِيبُولِي/غَالِيبُولُو (Gelibolu) عام ١٣٥٣. وكان هذا هو مقرهم الأول في البلقان على الجانب الآخر للدردنيل، حيث كان لهم قاعدة عسكرية يستخدمونها في فتوحاتهم الأخرى في البلقان. وعلى عكس الافتراضات التقليدية، فإن مطالب كانتاكوزينوس المتكررة للعثمانيين بإخلاء القلعة تثبت أن هذه القلعة لم يسلمها الإمبراطور البيزنطي ببساطة. وبعد ذلك حاصر سليمان باشا قلعة كَلِيبُولُو وبدأ ينتظر استسلامها. غير أن زلزالا عنيفا حدث ليلا وتسبب في انهيار جدران القلعة. واستولى العثمانيون على القلعة بسهولة أكبر بكثير مما توقعوا، وقاموا بالترميمات والإصلاحات، وتحركوا فيها بحرية كما لو كانت موطنهم. وكان هذا الاستيطان الدائم الأول للمسلمين في البلقان وأول وجود للإسلام في المنطقة لن يُمحى أبدا.

وقد وصلت الأخبار إلى بيزنطة والعالم المسيحي الأوسع فقوبلت بقلق كبير. وكانت أوروبا تخطط للقيام بحملة صليبية، ولكن ليس من أجل المطالبة بالقدس هذه المرة، وإنما لإنقاذ القسطنطينية من العثمانيين. ونقل "جريجوري بالاماس"، رئيس أساقفة سَلانِيك الذي أُسر أثناء تلك الأعوام، أن العثمانيين قالوا له إن "الله هو معينهم الأكبر على نشر الإسلام بشكل مستمر من الشرق إلى الغرب، وهذا دليل واضح على أن الإسلام هو الدين الحق".

اتبع أُورْخَان غازي سياسة استيطان رائعة لضمان استمرار الفتوحات في البلقان،

يشتهر المسجد الأخضر، الذي بُني في إزْنِيقْ (نيقية) خلال أوائل العهد العثماني، بالقرميد الأخضر، الأقدم في التاريخ العثماني، والذي يزين مئذنته.

حيث قام بتوطين الكثير من العائلات المسلمة القادمة من الأناضول في الأراضي المفتوحة حديثا، وأقام مدنا إسلامية جديدة في البلقان. وقد لعب هؤلاء المهاجرون الذين ضحوا بالانتقال من بيوتهم الدائمة إلى مكان مجهول دورا أساسيا في نشر الإسلام ونمو إمارتهم.

ولكن وقعت حادثتان خلال تلك الفترة اعترضت التقدم العثماني في البلقان، أولاهما خطف "شَهْزَادَه خليل"[٧] في سن صغيرة عام ١٣٥٦ على أيدي قراصنة من جنوا خلال رحلة بالقارب بموازاة شواطئ إزميت. وأبحر الإمبراطور البيزنطي يوأنس الخامس (V. Ioannes) -بعد مساومة بينه وبين العثمانيين- في عام ١٣٥٩ مع قواته البحرية إلى فُوجَا (بالقرب من إزمير)، ودفع ١٠٠ ألف عملة ذهبية لإنقاذه، وسلمه إلى والده أورخان غازي في إزميت. أما الحدث الثاني فكان غياب سليمان باشا، الذي توفي بطريقة مأساوية عندما سقط عن فرسه خلال رحلة صيد. بعدها كلّف أورخان غازي ابنه "شَهْزَادَه مراد" بقيادة الفتوحات القادمة في البلقان. وقد قام شَهْزَادَه مراد بكل ما في وسعه، حتى لا يشعر أحد بغياب أخيه الأكبر، ونفذ الفتوحات في "الرُّومَلِي" مع معلمه "شَاهِينْ باشا".

وكاد خبر أورخان غازي فقده لابنه الأكبر الذي يحبه حبا جما يدمر الأب المكلوم، الذي كان عمره يناهز السبعين عاما في ذلك الوقت؛ فطلب من شاه زاده مراد أن يدير شؤون الدولة، ثم آثر العزلة ليموت بعد ذلك بسنوات قليلة عام ١٣٦٢ في بورصا على الأرجح.

وقام أُورْخَان غازي بفتح ثلاث مدن كبرى في ذلك الزمن، وهي بُورْصا وإزْنِيقْ وإزْمِيت، ولعب بذلك دورا رئيسيا في نمو الإمارة العثمانية، وحمل المسلمين إلى القارة الأوروبية بفضل فتوحاته في الروملي، بعدما كانوا حبيسي الأناضول طوال ثلاثة قرون.

وبهذا يمكن القول إن عثمان غازي حوّل قبيلته قَايِي الصغيرة إلى إمارة عظيمة، فيما بدأ ابنه أورخان غازي عملية تحويل هذه الإمارة إلى دولة. وقد تأسست أجهزة الإدارة والجيش والتشريع للمرة الأولى في عهده، كما سيصبح مجلس الدولة، الذي كان يجتمع بقيادته، نقطة الانطلاق للمجلس العثماني السلطاني فيما بعد. ورغم أن الأقاليم التي فتحت في السابق قُسّمت ووُزّعت على الغازين الفاتحين، وهو ما شكل بطريقة ما نظاما إقطاعيا خلال حكم أبيه، فإن أورْخان غازي أنشأ إدارة مركزية عينت مسؤولين عن الأراضي المفتوحة تحت مشورة وزراء من طبقة النخبة المثقفة.

بعد حصار إزْمِيت، أصر أورْخان غازي على أن يكون لإمارته جيش محترف؛ ولذلك فقد أسس جيشا نظاميا يتألف من وحدات مشاة وفرسان. وبالإضافة إلى ذلك فُتحت أول مدرسة، أو مؤسسة للتعليم العالي، في إزْنِيقْ عام ١٣٣١، برئاسة داوود قيصري، وهو أحد أكبر العلماء في ذلك الوقت. وتروي المصادر أن أورْخان غازي بنى مجمعين لمسجدين في بورْصا وإزْنِيقْ لتقديم الخدمات

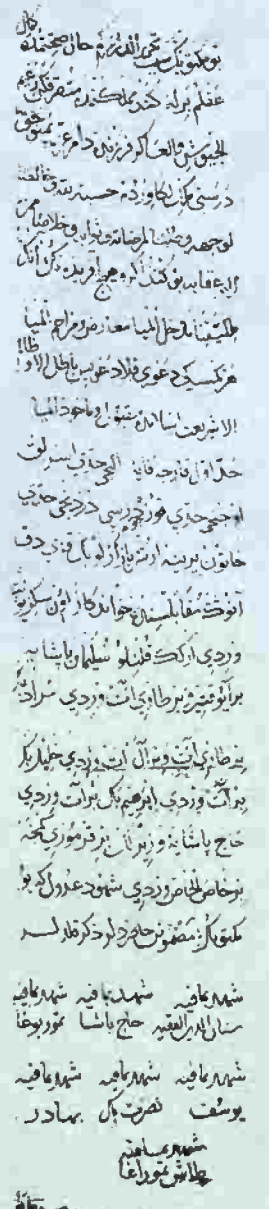

هذه الوثيقة الخاصة بالمُلكية (تمليك نامة)، والتي منحها أورخان غازي، هي أقدم وثيقة عثمانية، ومازالت محفوظة في السجلات العثمانية المركزية.

(٧) كان ورثة السلاطين العثمانيين الذكور الذين يستحقون العرش يحصلون على لقب "شَهْزَادَه" / شاه زاده، بينما كانت بناتهم يحملن لقب "سلطان"، مثل فاطمة سلطان وعائشة سلطان.

مسجد أورخانية بناه أورخان غازي في بُورْصَا.

الخيرية المختلفة للمجتمع. وكان يقوم أحيانا بتقديم الحساء للفقراء في مطبخ للمحتاجين داخل هذين المجمعين. كان أورْخان غازي حاكما تقيا، كما كان قائدا ذكيا أيضا. بل كان قائدا شجاعا للغاية حتى إنه اعتاد أن يقود فرسه ويقود الجيش من صفوفه الأولى. وقد نفذ وصية أبيه من خلال وجوده دائما بين الناس ومن أجل الناس.

وبسبب شهرة أورْخان غازي كشخص متواضع، رشحه أخوه "علاء الدين" علي ليكون خليفة أبيه على العرش. وتُبين المصادر العثمانية أنه لم يطلب العرش، وإنما وافق عليه بعد إلحاح أخيه. يقول الرحالة ابن بطوطة عن أورخان غازي، الذي التقى به في بورصا، إنه "الأكثر مهابة بين كل السلاطين التركمان"، كما سجّل عنه أنه كان دائما ما يخوض الفتوحات، ولم يمكث أكثر من شهر في مكان.

"عمارة" (مؤسسة خيرية لتوزيع الطعام على الفقراء) يعود بناؤه إلى القرن الرابع عشر، يحمل اسم بُلُوفَرْ خاتون، زوجة أورخان غازي، ويستخدم اليوم كمتحف.

التابوت الحجري لعثمان غازي داخل مقبرة عثمان غازي في بورصة، أول عاصمة عثمانية.